وآب مضلّوه بعينٍ جليةٍ وغودر بالجولان حزمٌ ونائلُ

أي قابروه»[1].

وعلى هذا النسق، دون خروج عن دائرة بحث المعنى، مشكله ومبهمه، كان صنيع المؤلفات في وجوه القراءات؛ فعملية توجيه القراءات القرآنية المختلفة للآية الواحدة، اعتمدت على إعادة فهم المعنى بالدرجة الأولى، ولم يكن للنحاة مثلاً، أن يزيلوا الإشكالات التي تواجههم بها القراءات، إلاّ بأن يديروا المعنى على وجوهه المحتملة، ويقلّبوا هذه الوجوه، باحثين عن أكثرها ملاءمةً للسياق والتركيب المشكل وأكثرها توافقًا معهما.

رابعًا: اصطلاح «الوجوه والنظائر»، النشأة والدلالة:

ظهر التعبير بالوجوه أول ما ظهر، على لسان علي بن أبي طالب في مقالته المشتهرة، «ولا تجادلهم بالقرآن فإنه حمال ذو وجوه»[2].

وكذلك في الحديث الموقوف الذي أورده السيوطي مطلقًا عليه «حديث أبي الدرداء»، «لا يكون المرء فقيهًا كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا»[3] أو في روايته الأخرى «إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا»[4].

هذه هي الروايات الأولى، التي ورد فيها استعمال لفظ «الوجوه» مرتبطًا بالنص القرآني، وصفًا عاما له، ومن بعدها نجد تآليف متتابعة تتخذ اللفظ عَلَمًا على نوع من الألفاظ القرآنية وعلى علم يُعنى بجمع هذه الألفاظ.

فما معنى أو دلالة هذا اللفظ في الاستعمال العربي، ولماذا اختير دون غيره للتعبير عن صفة خاصة في كلمات القرآن، ثم وسم به فرع كبير من علوم القرآن، وكيف استعمل اللفظ في هذا العلم؟ هذا هو ما نحاول تقصّيه في الصفحات التالية.

«ووجه كل شيء: مستقبله

---

(١) المرجع نفسه ص٥.

(٢) السيوطي، الإتقان، ج١، ص١٤١.

(٣) المرجع السابق، وذكر الحديث في طبقات بن سعد، انظر ص١٩ من هذا البحث.

(٤) المرجع السابق.